بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ}[ص: ٤٥-٤٨]{وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}[مريم: ٥٠]، ووصف سبحانه زكريا عليه السلام وأهله بصفات طيبة، وأثنى عليهم فقال:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[الأنبياء: ٩٠]،وقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}[مريم: ٤١]،وقال:{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي

مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ}[الشعراء:٨٣-٨٥] وأثنى سبحانه على بعض النصارى فقال:{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }[المائدة: ٨٣]...ويوم أن جاء فقراء الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم أن دعا للجهاد يوم تبوك... فردَّهم صلى الله عليه وسلم، وقال: ((لا أجد ما أحملكم عليه)) فتولوا يبكون حسرةً وندامةً؛ فذكر الله قصَّتهم وأثنى عليهم فقال: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}[التوبة: ٩٢]، فقال صلى الله عليه وسلم عند عودته من الغزوة:((إنَّ أقْوامًا خَلْفَنَا بالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلا وَادِيًا، إلا وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ)).

وأثنى سبحانه على رسولنا صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح: ٢٩].

آيات كريمة جمعها الثناء على عباد الله الموحدين، ليكون هذا الذكر والثناء سببًا للنجاة يوم القيامة، وسببًا لتوفيق الله ومعيته في هذه الدنيا.

** فشهادة الناس من حولك وثناؤهم عليك قد تكون سببًا لدخولك الجنة، فعن أنس رضي الله عنه قال: مُرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة، فأُثني عليها خيرًا، فقالوا: كان ما علمنا يحب الله ورسوله، فقال صلى الله عليه وسلم: (وجبت ثلاثا)، ومُرَّ بجنازة فأُثني عليها شرًّا، فقالوا: بئس المرء كان في دين الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (وجبت ثلاثا)، فقال عمر: فدًى لك أبي وأمي، مُر بجنازة فأثني عليها خيرًا، فقلت: (وجبت ثلاثا)، ومُرَّ بجنازة فأثني عليها شرًّا، فقلت: (وجبت ثلاثا)؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، **ثلاث مرات**).

عَن الرُّبَيّع بنت معوذ قالت: قال صلى الله عليه وسلم: ((إِذا صَلَّوا على جَنازَةٍ فأثْنَوا خَيْراً يَقُولُ الرَّبُّ: أجَزْتُ شَهَادَتَهُمْ فِيمَا يَعْلَمُونَ وأغْفِرُ لَهُ مَا لَا يَعْلَمُونَ))صحيح الجامع

قال صلى الله عليه وسلم: ((يُوشِكُ أن تعرفوا أهلَ الجنةِ من أهلِ النارِ قالوا بم ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قال: بالثناءِ الحسنِ والثناءِ السيِّئِ أنتم شهداءُ اللهِ بعضُكم على بعضٍ)).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، قلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، قلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأله في الواحد)) أخرجه البخاري.

وذكر الإنسان بالخير والثناء الحسن هي عاجل بشرى المؤمن، فقد سُئل ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عليه؟ قالَ: تِلكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ)).

فاحرصوا بحسن أعمالكم على شهادة الصالحين، وأهل الخير لكم من حولكم، وسل نفسك: ماذا سيقول الناس عنك؟ وبماذا سيشهدون لك بعد موتك ورحيلك؟

مات عمر بن عبد العزيز وما مات ذكره، فالصالحون تلهج ألسنتهم بالدعاء والثناء عليه، بل ها هو ملك الروم ليون الثالث يقول: لو كان رجل يحيي الموتى بعد عيسى لكان عمر، والله لا أَعجَب من راهبٍ جلس في صَوْمعته وقال: إنَّي زاهد، لكنِّي أعجب من عمر يوم أَتَتْه الدنيا حتى أناخت عند قدميه فركلها بقدميه، وأعرض عنها، واختار ما عند الله.

وللتنويه: أن نشهد بصلاح الأعمال، وحسن الأخلاق، وجميل الصفات، ونثني الثناء الحسن على إنسان بصدق وأمانة؛ فهذا هو المطلوب، ونكِل أمر الجنة والنار إلى الله تعالى.

جاء في الصحيح: ((أن رجلًا من بني إسرائيل كان عابدًا، فكان يأتي إلى رجل آخر من الفساق الفجار فينهاه عن معصيته، فيقول له: خلِّ بيني وبين ربي ولا يستجيب له، فقال هذا الرجل العابد: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألَّى عليَّ ألَّا أغفر لفلان، فإني قد غفرت له وأحبطت عملك)).

فاحرص أن تكون ممن قال عنه عليه الصلاة والسلام في حديث عظيم وهو يتكلم عن أهل الجنة، قال: أهل الجنة من ملأ الله عز وجل أذنيه من ثناء الناس خيراً، وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع)).

إنّ الأخيار والصالحين بعد مماتهم يفقدهم الإنسان وكلّ ذي روح وحتى الجماد، وفي الحديث »ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقداه وبكيا عليه .«فذلك قوله) :فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ(، فالأخيار والصالحون أصحاب الذكر الحسن والسمعة الطيبة، تبكي الأرض لفقدهم كما تبكيهم السماء، وأما غير الأخيار والصالحين أناس كثر يموتون فلا يُؤسَف على فراقهم، ولا يحزن على فقدهم؛ إذ لم تكن لهم آثارٌ صالحة، ولا أعمالٌ نافعة، ولا إحسانٌ إلى الخَلق، ولا بَذل ولا شَفَقَة، ولا عَطف ولا رحمة، ولا خُلُق حسن، وفي أمثال هؤلاء قال الله تعالى) :فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (فلا يُرى لهم في الأرض شاكِر، ولا لهم بالخير ذاكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين